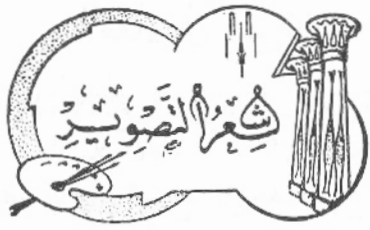

بلوتو وبرسفونه

(فى هذه القطعة مثالٌ معتدلٌ من النظم الحُرّ الجامع بين الشعر القصصى وشعر التصوير)

كم عذّبتْ (بلوتو)[1] حياةُ الشُّرُودْ ... عن عالَمِ الحىّ وحُسْنِ الوجودْ
قد خصَّهُ الموتُ ، وفى مُلكِهِ ... قد عاشَ فى اليأسِ الالهَ الوحيدْ
لم ترْضَهُ زَوْجاً ولا آمَنَتْ ... بِمُلْكِهِ الضافى بناتُ الالُوهَهْ
عيشٌ كموتٍ كلُّه ، مُظْلِمٌ ... وحسرةٌ ملءُ الحياةِ الكريهَهْ
كم ساءلَ الأربابَ إنصافَهُ ... وساءلَ الربّاتِ إسعادَهُ
فلم يَنَلْ غيرَ عزوفِ المُنَى ... عنه كأنّ الرّدَى صادَهُ
وهكذا قَضَّى حياةَ الأبَدْ ... فى عُزْلةٍ بل ظُلمةٍ للعَدَمْ
لايعرفُ العطفَ عليه أحَدْ ... الا صَدَى الموتِ ونَوْحُ الألَمْ
حتى اذا اليأسُ تمادَى بهِ ... وأظلم الكونُ جميعاً لَهُ
آثرَ أن يغزوَ ربّاتِهِ ... ويخطفَ الحظَّ كمنْ نالَهُ !

* * *

هذى (دِمِتْرا[2]) أنْبَتَتْ زهرَها ... فى المَرْجِ مُذْهامت بهِ (برسفونْ)
وانْضَجَتْ ما شاقها نُورُهُ ... من مُشْمِرٍ يَبسمُ للناظرينْ
فراحت الابنةُ فى فَرْحَةٍ ... تقطف من زهرٍ ومن فاكهَهْ
الفَرْحَةُ تُسْمِى نفوسَ الورَى ... فكيف إنْ طارتْ بها الآلهَهْ ؟!

(١) اله عالم الموت (٢) دمترا : الهة الأرض ، وبرسفون : ابنة دمترا الجميلة

وشامَها (بلوتو) فشامَ المُنى ... فى أخذِها أخْذَ القوىِّ العزيزْ
قد يُسرف الحرمانُ ، لكنّه ... إذْ يُسرفُ فى مَنْعِهِ قد يُجيزْ!
وبينما الزّهرُ لدى (برسفون) ... يُحيّى سَنَاهَا ويَحْيَا لَهَا
ويَنعم من لَمْسِها مِثْلَمَا ... تُناجى الجداولُ إقبالَها
وتَهوَى الحشائشُ مَشْياً عليها ... فما كان ذلك إذلالَها
ويَحتضنُ الماءُ أطيافَها ... برفقٍ اذا الحَرُّ قد نالَها
وتُلْقِى عليها الغُصونُ الظلالَ ... حوانىَ بالحبِّ فى نومِها
وبينا تُغنّى أغانى الجمالِ ... مياهُ الجداول ملءَ الطَّرَبْ

وكلُّ الوجود قريرٌ بها كما نعمتْ بجمالِ الوجودْ
رآها (بلوتو) فتاق إلى اغتنام التى يشتهيها شريكهْ
فليسَ لمُلْكٍ جَمَالٌ يُحَبُّ ... اذا حُرِمَ المُلْكُ عطفَ المليكهْ

• • •

أهابَ (بلوتو) بذاكَ الثَّرَى ... فَشُقَّ ، وأقبل فى مَرْكَبَهْ
فأفزعها أنْ بَدَا عندها ... وانّ الاسارَ غدا حظَّها
وهيهات يُجدى صِياحٌ لها ... ففى لمحةٍ مُسْرِعاً نالَها
وفى الأرض غار بها وانتهى ... الى مُلكهِ ، فازدهتْ كوكبَهْ !
وكان الربيعُ حليفَ الدوامْ ... على الأرض لاينتهى نَضْرَةَ
فلمّا مضت ونأت (برسفونُ) ... تجلَّى الشتاءُ وراحَ الربيعْ
فناحتْ (دِمترا) التى استصرختْ ... لإنصافِها كلَّ ربٍّ سميعْ
ولكنْ (بلوتو) أخيراً وَفَى ... الى أمِّها فترةً كلَّ عامْ
تَزورُ بها الأرضَ فى نَشْوَةٍ ... فتلقَى (دمترا) وتَلْقَى الزهورْ
فتبتهجُ الأرضُ من زورةٍ ... لها وتُغنّى نشيدَ السلامْ
وتُكسبها من حياةِ الربيعِ ... رواءً يغيب بباقى الشهورْ

ففي الأرض غيبتُها غيبةٌ ... لأنسِ الربيع الصبيِّ الجمالْ
فَيَطْغَى الشتاءُ ويحيا الورى ... بذكرى الربيعِ الحبيبِ الخيالْ
وتجلس حينئذ (برسفونُ) ... على عرشها و (بلوتو) القرينْ
الى أن يحينَ الظهورُ الجديدْ ... فيأتي الربيعُ ويَمْضي الجليدْ !

* * *

الأرضُ تَفترُّ لها خُضرةٌ ... بالزّهرِ في مَوْجٍ جميلٍ نضيرْ
كأنَّه نَثْرُ أغاني المُنَى ... من بَعْدِ نجوالٍ لها بالأثيرْ
وإذْ تَعتلي (برسفونُ) الرُّبَى ... لتجمعَ الزَّهرَ لاكليلها
يَروعُها (بلوتو) . بوثبٍ له ... مِنْ باطنِ الأرض لتذليلها
كصُفرةِ الحُلَّةِ تَلْقَى لها ... مِنْ صُفْرَةِ الخوفِ ولونِ الالمْ
مرُوعَةَ تعجز عن وقفةٍ ... كما فاتها جَمْعُ رشيقِ الزَّهَرْ
فكانت بلفتتها حيرةً ... تَحدَّتْ وخافتْ وثُوبَ القَدَرْ
وما رحمَ القدرُ المستعزُّ ... ولا هابَ أمراً اذا ما اقتحمْ
وثارَ الجوادان - من ثورةٍ ... لهذا الضياء - ببحر الضياءْ
فقد ألفا ظُلمةً للمماتِ ... وليلُ المماتِ بُحورُ الفناءْ
ولكنْ (بلوتو) ببأسٍ له ... يصدّ بقبضته الثائرينْ
ويرنو اليها بسحرِ العتيِّ ... ويخطفها بيدٍ من حديدْ
وما لمحةُ الفنِّ في صورةٍ ... تثور على دهشةِ الناظرينْ
بأهونَ من دهشةٍ للتي ... أذالتْ نظامَ الربيعِ الفريدْ
وصارت عزاءَ المماتِ الوحيدْ !

احمد زكي ابو شادي